

تَقْسِمُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

سورة آل عمران ٢٩-٧-١٤٠٤ ٢١

دراسات الأستاذ:
مهدي الهادي الطهراني

سورة آل عمران

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة آل عمران

الم (١)

سورة آل عمران

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ
الْقَيُّومُ (٢)

سورة آل عمران

نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ
يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ (٣)

مَنْ قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ
الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَ
اللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ (٤)

سورة آل عمران

إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي
الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ (٥)

هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ
كَيْفَ يَشَاءُ لِمَا آوَاهُ اللَّهُ هُوَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٥)

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ
 مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ
 فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ
 مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ
 تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ
 ءَأَمَّنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا
 أُولُو الْأَلْبَابِ (٧)

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ
مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ
فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ
مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ
تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ **وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ** يَقُولُونَ
ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا
أُولُو الْأَلْبَابِ (٧)

وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ

• قوله تعالى: وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ، ظاهر الكلام رجوع الضمير إلى ما تشابه، لقربه كما هو الظاهر أيضا في قوله: وَأَبْتَغَاءَ تَأْوِيلَهُ، وقد عرفت أن ذلك لا يستلزم كون التأويل مقصورا على الآيات المتشابهة. و من الممكن أيضا رجوع الضمير إلى الكتاب كالضمير في قوله: مَا تَشَابَهَ مِنْهُ.

وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ

• و ظاهر الحصر كون العلم بالتأويل مقصورا عليه سبحانه و أما قوله: و الرَّاسُخُونَ فِي الْعِلْمِ، فظاهر الكلام أن **الواو للاستيناف** بمعنى كونه طرفا للترديد الذي يدل عليه قوله في صدر الآية: فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ، و المعنى: أن الناس في الأخذ بالكتاب قسمان: فمنهم من يتبع ما تشابه منه و منهم من يقول إذا تشابه عليه شيء منه: آمنا به كل من عند ربنا، و إنما اختلفا لاختلافهم من جهة زيغ القلب و رسوخ العلم.

وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ

- على أنه لو كان الواو للعطف و كان المراد بالعطف تشريك الراسخين في العلم بالتأويل كان منهم رسول الله ص و هو أفضلهم و كيف يتصور أن ينزل القرآن على قلبه و هو لا يدري ما أريد به و من دأب القرآن إذا ذكر الأمة أو وصف أمر جماعة و فيهم رسول الله ص أن يفرد بالذكر أولا و يميزه بالشخص تشريفا له و تعظيما لأمره ثم يذكرهم جميعا

وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ

- كقوله تعالى: «آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَ الْمُؤْمِنُونَ»: البقرة - ٢٨٥، وقوله تعالى: «ثُمَّ أُنزِلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ»: التوبة - ٢٦، وقوله تعالى: «لَكِنَّ الرَّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ»: التوبة - ٨٨، وقوله تعالى: «وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا»: آل عمران - ٦٨، وقوله تعالى: «لَا يَخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ»: التحريم - ٨، إلى غير ذلك،

وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ

- فلو كان المراد بقوله: وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ، أنهم عالمون بالتأويل - ورسول الله ص منهم قطعاً - كان حق الكلام كما عرفت أن يقال: وما يعلم تأويله إلا الله ورسوله والراسخون في العلم، هذا

وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ

• و إن أمكن أن يقال: إن قوله في صدر الآية: هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ «إِلخ» يدل على كون النبي عالماً بالكتاب فلا حاجة إلى ذكره ثانياً.

وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ

- فالظاهر أن العلم بالتأويل مقصور في الآية عليه تعالى، و لا ينافي ذلك ورود الاستثناء عليه كما أن الآيات دالة على انحصار علم الغيب عليه تعالى مع ورود الاستثناء عليه كما في قوله تعالى: «عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَن ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ»: الجن - ٢٧، و لا ينافيه أيضا كون المستثنى الراسخين في العلم بعينهم،

وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ

- إذ لا منافاة بين أن تدل هذه الآية على شأن من شئون الراسخين في العلم، و هو الوقوف عند الشبهة و الإيمان و التسليم في مقابل الزائعين قلبا و بين أن تدل آيات أخر على أنهم أو بعضا منهم عالمون بحقيقة القرآن و تأويل آياته على ما سيجيء بيانه.

و الراسخون في العلم يقولون انا به كل من
عند ربنا

- قوله تعالى: وَ الراسخون في العلم يقولون انا به كل من
عند ربنا، الرسوخ هو اشد الثبات، و وقوع الراسخين في
العلم في مقابلة الذين في قلوبهم زيغ ثم توصيفهم بانهم
يقولون انا به كل من عند ربنا يدل على تمام تعريفهم، و
هو أن لهم علما بالله و بآياته لا يدخله ريب و شك،

و الراسخون في العلم يقولون انا به كل من
عند ربنا

- فما حصل لهم من العلم بالمحكمات ثابت لا يتزلزل، و هم يؤمنون به و يتبعونه أى يعلمون به و إذا وردت عليهم آية متشابهة لم يوجب تشابهها اضطراب قلوبهم فيما عندهم من العلم الراسخ بل آمنوا بها و توقفوا عن اتباعها عملاً.

و الراسخون في العلم يقولون انا به كل من

عند ربنا

• و في قولهم: **أنا به كل من عند ربنا** ذكر الدليل و

النتيجة معا فإن كون المحكم و المتشابه جميعا من عند

الله تعالى يوجب الإيمان بالكل: محكمه و متشابهه، و

وضوح المراد في المحكم يوجب اتباعه عملا، و التوقف

في المتشابه من غير رده لأنه من عند الله و لا يجوز

اتباع ما ينافي المحكم من **معانيه المتشابهة** لسطوع

البيان في المحكم فيجب أن يتبع من معانيه المحتملة

ما يوافق معنى المحكم،

و الراسخون في العلم يقولون انا به كل من
عند ربنا

- و هذا بعينه إرجاع المتشابه إلى المحكم فقوله: كل من
عند ربنا بمنزلة الدليل على الأمرين جميعا، أعني:
الإيمان و العمل في المحكم، و الإيمان فقط في
المتشابه و الرجوع في العمل إلى المحكم.

وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ

• قوله تعالى: وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ،

• التذکر هو الانتقال إلى دليل الشيء لاستنتاجه، ولما كان قولهم: كُلُّ مَنْ عِنْدَ رَبِّنَا كَمَا مَرَّ اسْتِدْلَالًا مِنْهُمْ وَانْتِقَالًا لِمَا يَدُلُّ عَلَيْهِمْ سَمَاءُ اللَّهِ تَعَالَى تَذَكَّرُوا وَمدحهم به.

وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ

- و الألباب جمع لب و هو العقل الزكى الخالص من الشوائب، و قد مدحهم الله تعالى مدحا جميلا فى موارد من كلامه، و عرفهم بأنهم أهل الإيمان بالله و الإنابة إليه و اتباع أحسن القول ثم وصفهم بأنهم على ذكر من ربهم دائما فأعقب ذلك أنهم أهل التذكر أى الانتقال إلى المعارف الحقة بالدليل و أهل الحكمة و المعرفة،

وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ

• قال تعالى: «وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فبَشِّرْ عِبَادَ الَّذِينَ يَسْتَمْعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ **أُولُو الْأَلْبَابِ**»: الزمر - ١٨،

• وقال تعالى: «إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ **لِأُولِي الْأَلْبَابِ** الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ»: آل عمران -

١٩١

وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ

- وهذا الذكر الدائم و ما يتبعه من التذلل و الخضوع هو الإنابة الموجبة لتذكرهم بآيات الله و انتقالهم إلى المعارف الحقة كما قال تعالى: «وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ»: الغافر - ١٣، و قد قال: «وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ»: البقرة - ٢٦٩ آل عمران - ٧.